

صيد الخاطر

185 - - فصل : ملاطفة الأعداء حتى يتمكن منهم .

ينبغي أن يكون شغل العاقل النظر في العواقب و التحرز مما يمكن أن يكون .
و من الغلط النظر في الحالة الحاضرة الموافقة لمعاشه و لصحة بدنه و ربما لا يجري له
مصحوبة فينبغي أن يعمل على انقطاع ذلك فيكون مستعدا لتغير الأحوال .
كذلك النظر في لذة تفنى و تبقى تبعثها و عارها و إثارة الكسل و الدعة لما يجيء بعدهما
من بقاء الجهل .
و كذلك تحصيل المرادات التي لا تحصل إلا بالتلف في الاحتيال خصوصا إذا أريد من ذكي فإنه
يفطن بأقل تلويح .

فمن أراد غلبة الذكي دقق النظر و تلف في الاحتيال .

و قد ذكر في كتب الحيل ما يشذ الخواطر و أتينا بجملة منه في كتاب الأذكياء .
مثلا روي أن رجلا من الأشراف كان لا يقوم لأحد و لا يخشى أحدا فجاز عليه بعض الوزراء و حي
فلم يرد و لم يقم .

فقال ذاك الوزير لرجل : أخبر فلانا أنني قد كلمت أمير المؤمنين في حقه و قد أمر له
بمائة ألف فليحضر ليقبضها فأخبره ذلك الرجل .

فقال الشريف : إن كان أمر لي بشيء فلينفذه لي و إنما مقصوده أن يضع مني بالتردد عليه .

فمتى وقع الإنسان مع ذكي فينبغي أن يتحرز منه [كما ينظر صاحب الرقعة النقلات] .
و كثير من الأذكياء لم يقدرُوا على أغراضهم من ذكي فاعطوه و بالغوا في إكرامه ليصيده
فإن كان قليل الفطنة وقع في الشرك و إن كان أقوى منهم ذكاء علم أن تحت هذه النية خبيثا
فزاده ذلك احترازا .

و أقوى ما ينبغي أن يكون الاحتراز من موتور فإنك إذا آذيت شخصا فقد غرست في قلبه عداوة
فلا تأمن تفريع تلك الشجرة و لا تلتفت إلى ما يظهر من ود و إن حلف فإن قاربته فكن مكنه
على حذر .

و من التغفل أن تعاقب شخصا أو تسيء إليه إساءة عظيمة و تعلم أن مثل ذلك يجدد الحقد
فتراه ذليلا لك طائعا تائبا مقلعا عما فعل فتعود فتستطيعه و تنسى ما فعلت و تظن أنه قد
انمحى من قلبه ما أسلفت .

فربما عمل لك المحن و نصب لك المكائد كما جرى لقصير مع الزباء و أخباره معروفة .

فإياك أن تساكُن من آذيتِه بل إن كان و لا بد فمن خارج فما تؤمن الأحقاد .
و متى رأيت عدوك فيه غفلة لا يثنيه مثل هذا فأحسن إليه فإنه ينسى عداوتك و لا يظن أنك
قد أضمرت له جزاء على قبح فعله فحينئذ تقدر على بلوغ كل غرض منه .
و من الخور إظهار العداوة للعدو و من أحسن التدبير التلطف بالأعداء إلى أن يمكن كسر
شوكتهم و لو لم يمكن ذاك كان اللطف سببا في كف أكفهم عن الأذى و فيهم من يستحي لحسن
فعلك فيتغير قلبه لك .
و قد كان جماعة من السلف إذا بلغهم أن رجلا قد شتمهم أهدوا إليه و أعطوه فهم بالعاجل
يكفوه شره و يحتالون في قلب قلبه و يقع ذلك لهم مهلة لتدبير الحيل عليه إن أرادوا .
و كفى بالذهن الناظر إلى العواقب و التأمل لكل ممكن مؤدبا